**المحاضرة 10**

**جهود المستشرقين في تحقيق التراث**

ارتبط مفهوم التراث بالاستشراق والمستشرقين؛ نظرا لما قاموا به من دور في إحيائه ونشره، منذ ظهور الطبـــــاعة في أوربا خلال القرن السادس عشر الميلادي، ويجدر بنا هنا أن نتعرض إلى مفهوم:التحقيق،التراث، وبــــــــــــاختصار؛ لعلاقة هذه المصطلحات بهذا المــوضوع، ثم نتكلم عـن أعلام المستشرقين، وما قدموه مـن أعمـال في تحقيق الكتب العربية المخطوطة ونشرها.

**التحقيق:**

جاء في اللسان: حقّه يحقّه حقّا وأحقّه كلاهما: أثبته، وصار عنده حقا لا يشك فيه. ويقال: أحققت الأمـر إحقاقا إذا أحكمته وصححته.وكلمة (تحقيق ) هي ترجمة لكلمة (critique**)**الفرنسية، ولكلمة (criticism) الإنجليزية, وذلك لأن كلمة ( تحقيق ) العربية لم تستعمل قديما في اللغة العربية بمعناها العلمي أو الاصطلاحي هنا، لأنها معجميا تعني (إحكام الشيء).

وإذا رجعنا إلى المعـــــــــاجم الحديثة المختلطة لنتبين معــنى كلمة (critique) وكلمة (criticism) فسنرى ( معجم مصطلحات الأدب ) يترجمها كالآتي:(( الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصدرها، وصحة نصها، وإنشاؤها وصفاتها وتاريخها )). Critique, وفي الاصطلاح أعطي لها عدة تعريفات متشابهة، بالإضافة إلى التعريف السابق، نكتفي بواحد منها:

(( التحقيق: إخراج نص معين في شكل أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه، اعتمادا على المقارنة بين كل النسخ التي بقيت من الكتاب )).

أو قل هو: عملية إعادة بناء النص، حتى يكون على الصورة التي تركها عليه مؤلفه.

**التراث:**

يبدو في الغة أنـــه لــــم يقع خلاف في أن الميراث هــــــو مــــا يخلفه الرجـــل لورثته, وظلت هـــذه الكلمــة محـــــدودة الاستعمال تنوب عن أختها ( الميراث ) في كثير من مجالات استخدامها، إلى أن جاء العصر الحديث، فأصبحت تشمل نتاج الحضارة في جميع ميادين النشاط الإنساني.

وتحقيق التراث: هو العلم الذي يبحث فيه عن قواعد نشر المخطوطات, والتراث الذي نقصده في هذا الموضوع هو ما أنتجه العرب من الكتب والرسائل، والذي يعد بالآلاف، ولا يزال الكثير منه مخطوطا في مكتبات العالم وعند الخواص.

والمستشرقون - حسب عبد المجيد دياب- ثلاثة ضروب:

1ــــــ ضرب لم يملك ناصية اللغة فأخطأ في نشر الكتب وفهم النصوص.

2ــــــ ضرب أثرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب الديني.

3ــــــ فريق ثالث أوتي الكثير من سعة العلم، والتمكن من العربية، والإخلاص للبحث، والتحرر والإنصاف.

واهتم علمـاء الغـــرب بنشــر نصـوص الآداب القديمة( اليونانية واللاتينية) بدايـة مـن القـرن الخـامس عشـر الميلادي، حتى انتهى بهم الأمر إلى وضع قواعد وأصول علمية لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة خلال القرن التاسع عشر، وتأثر بهم المستشرقون في نشرهم للكتب العربية في ذلك القرن وما بعده.

ويقول "عبد المجيد دياب أن الاستشراق والمستشرقين، خلال القرن التاسع عشر، ظهر في صور متعددة:

1ــــ استعانة المستشرقين بالعلماء العرب.

2ـــــ عقد المؤتمرات.

3ــــــ الجمعيات الأسيوية والمعاهد الشرقية التي أسسها المستعمرون.

4ــــــ جمع نفائس المخطوطات أيام محنة المسلمين في الأندلس وصقلية، وفي الحروب الصليبية.

وللمستشرقين عناية خاصة بما ينشرونه من الكتب العربية، وامتازت منشوراتهم بالضبط ومراجعة الأصول المتعددة للمخطوطات، وبذلـوا جهدا في التحقيق والتعليـق، كما يذيلون الكتاب بالفهارس، ولقد سبقوا المطابع الشرقية في نشر الكتب في التاريخ والأدب وغيرهما، وبالمقابل كان المعول في مطابع الشرق في نشر الكتب، غالبا، الطبعات الأوربية.

وقد ذكر "جرجي زيدان "المؤلفات العربية التي نقلها مستشرقون إلى لغاتهم، منها:

\_ نقلوا طائفة مـن الشعر العــربي إلى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانيـة؛ كديوان الحماســـة، وأشعـــار الهـــذليين، وبعض أشعـار الأغاني، وديوان امرئ القيس، والنابغة، وطـرفة، والخنساء، والبردة، وشعـر الفرزدق، وبعض أشعـــــــار المتنبي، وأبي العـــلاء، والمعلقــات، ولاميـة العــرب، وأشعـــار الجاهليـــة، وأشعار عنترة ، وديـــــــوان البهاء زهير، وديـــوان لبيد.

\_ ومما نقلوه من كتب الأدب واللغة إلى الفرنسية: ( أطواق الذهب ) للزمخشري، و( ملحة الإعراب )، و( ألف ليلة وليلة ) و( مقدمة ابن خلدون )، و( مقامات الحريري )، و( الأجرومية )، و( كليلة ودمنة )، وكتاب( المستطرف ) .

\_ ونقلوا إلى الإنجليزية: ( مقامات الحريري ) و( أدب الكاتب ) و( ألف ليلة وليلة )،و( رسالة حي بن يقظان) و( تاج العروس )، و( كليلة ودمنة )، وإلى الألمانية: ( أطواق الذهب )، و( كتاب سيبويه )، و( ألف ليلة وليلـة )، و( كليلة ودمنة )، وغيرها.

\_ وما نقلوه من كتب التاريخ ونحوها ؛ ككشف الظنون، وتاريخ الطبري، وابن خلكان،وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ورحلة ابن بطوطة، ونفح الطيب، ومروج الذهب، وجغرافية الإدريسي، وسيرة ابن هشام....

ويظهر جليا، هذا الاهتمام بالتراث العربي من قبل المستشرقين،عندما يتعلق الأمر بالجامعات، يقول "محمود محمد الطناحي"(( وقد نقل المستشرقون الاهتمام بالتراث العربي إلى داخل الجامعات؛ فأنشأوا بها كراسي للغات الشرقية والأدب العربي، كما في جامعـــــات السوربــون بفرنســا، وأكسفورد، وكمبريدج بإنجلترا، وليــدن بهولندا، وقــد عمل في هذه الجامعات بعض الأساتذة العرب... ومن عجيب ما يذكر هنا، أنهم قد اصطنعوا في هذه الأقسام التي تعنى بالتراث العربي وظيفة قارئ نصوص بجانب الأساتذة والمحاضرين.

ويظهـــــر اهتمــامهم كــذلك، في إنشــــاء مجــــــــلات خاصــــــة، والمكتبات التي تعنى بجمــع المخطوطــات العربيـــــــــة وصيانتها.

ومن أوائل طبع في أوربا: كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب، وكان ذلك عــام 1592م، والقانــــــون في الطب لابن سينا، سنة 1593م، لأن إيطاليا كانت المهد الأول للطباعة العربية.

ويورد " عبد الهادي الفضلي " عددا مما نشره المستشرقون من المخطوطات العربية خلال القرن التاسع عشر الميلادي محققا، ومكان صدوره وتاريخه، نختار بعضها:

\_ كتاب الفلاحــة، لابن العـوام الإشبيــــلي( مـن علماء القـرن السادس الهجــري ) نشــر في جزأين في مــدريــد سنـة 1217ه/1802م، بتحقيق وترجمة: " جوزيف أنطونيو بانكري " ( ت 1818م ).

\_ شـرح ديــوان المفضليــات، لأبي بكــر الأنبـــــــــــــــــاري ( ت328ه ) نشـرتـه المطبعــــة الكاثوليكيــــــة بأكسفــــــورد سنة 1223ه/1808م، بتحقيق " تشارلس لايل".

\_ شرح الحماسة، للتبريزي(ت 502ه) نشر في "بون" سنة 1828م، " فريتاغ ".

\_ تقويم البلدان، لأبي الفداء( ت732ه ) نشر بباريس سنة 1256ه/1840م، بتحقيق: " ماك جوكين دي سلان".

\_ المشترك وضعـــا والمفترق صقعـــا، ليــــاقـــوت الحموي(ت 626ه) نشر سنة 1262ه/1846م، بتحقيـــــــــــــــــــــق: "فرديناندفستنفلد ".

\_ آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني ( ت682ه ) نشر عام 1264ه/1848م، بتحقيق: " فستنفلد ".

\_ عجائب المخلوقات، للقزويني، أيضا، نشر عام 1265ه/1849م، بتحقيق: " فستنفلد ".

\_ الاشتقاق في اللغة والأنساب، لابن دريد ( ت 321ه ) نشر سنة 1853م، بتحقيق: " فستنفلد ".

\_ معجم البلدان، لياقوت الحموي ( ت626ه ) نشر سنة 1868م، بتحقيق: " فستنفلد ".

\_ الفهرست، لابن النديم ( ت438ه ) نشر سنة 1871م، بتحقيق: " غوستاف فلوجل "وغيرها من أعمال المستشرقين والتي لا يسمح المجال لذكرها الآن.

وفي هذا الموضوع، ينبغي ألا نهمل دور العرب في المحافظة على التراث، وبعثه؛ رواية وتأليفا وتحقيقا، والعارف بتاريخ أمتنا يجد أن علماءنا الأوائل قـد عرفوا: المقابلة بين النسخ، ورتبوا معاجمهم على حروف المعجم، كما عرفوا الأمانة في نقل النصوص، وعزوها إلى أصحابها، ويذكرون مراجعهم التي اعتمدوها...

وفي هذا السياق، يذكر " محمود محمد الطناحي" مجموعة من خبراء المخطوطات والتراث الذين أفادوا المستشـــرقين إفــادات شتى، منهم: محمد رشاد عبد المطلب، وفــــــؤاد سيــد، كوركيس عــواد، وقاســم الرجب، وأحمـــد عبيد، وإحسان عباس، وصلاح الدين المنجد.

هذا، بالإضافة إلى النسّاخ المجيدين الذين استعان بهم المستشرقون في نقل المخطوطات.

ويقول المؤلف السابق أن بعض المستشرقين قد وقع في أوهام غليظة،وخاصة فيما يتعلق بألفاظ اللغة العربية، وتراكيبها، ودلالاتها، ومصطلحات علـــــوم العربية، ويوجـد أكثـرها في دواويــن الشعـــر الجــاهلي التي نشـــروها، لذلك نجدهم: (( تعرضوا بسبب ذلك لنقد شديد، من إخوانهم المستشرقين الأثبات )). ويعطي " محمــود محمد الطناحي " تعليلا لتلك الأوهــام والأخطــاء التي وقع فيها بعض المستشرقين، فيقــول: (( فإن اللســـــــان غيـــــــر لسانهم، حتى الذين تضلعوا منهم في العربية، وكتبوا فيها شعرا ونثرا، ظل الفرق واضحا بين ما يكتبون، وما يكتب أهل اللسان العربي... )).

ويضــــرب المؤلـــف نفسه مثالا عــن ذلك، مـا وقــــع فيــه المستشرق الألمــاني " جوتهلفبرجشتراسر " في تحقيقه لكتاب ( مختصر في شواذ القراءات ) لابن خالويه، حيث صحّف كلمة " أبي عمرو بن العلاء ": (( فقد تربّع في لَحْنِه )) وجعلها: (( فقد تربع في الجنة )).

وختاما لهذا الموضوع، ومن خلال ما مر بنا من نماذج، نستطيع القول أن المستشرقين قد قاموا بجهود جليلة في تحقيق ونشر المخطوطات العربية، متأثرين بأمثالهم الغربيين، الذين وضعوا قواعد وأصول علمية لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة خلال القرن التاسع عشر، أمـا العـرب فقـد عرفوا التحقيق ومارسوه قبلهم؛ لكنهم لم يعرفوه بشكل علم قائم بذاته.